Langues & Cultures
Volume: 05 /Numéro : 02
PP-605-614
P-ISSN : 2716-8093 E-ISSN : 2716-8212

الرؤية الدستيوبية في الكتابة العربية المعاصرة
- المعاناة في رواية "صخرة الرماد"
لزينب لوت أنموذجا-

The dystopian vision in contemporary Arabic writing
Suffering in the novel "Rock of Ash" by Zainab Lout is a model

خديجة مرات
Khadidja MERAT
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
khadidjamerat@gmail.com

-تاريخ الاستلام: 2024 /04/18 **- تاريخ القبول: 2024/11/16** **-تاريخ النشر: 2024/12/10**

الملخص: تعدّ الرواية أحد أهمّ الفنون الأدبية التي تعكس وقائع المجتمع ومجرياته؛ إذ تقوم بتصوير مظاهره في قالب سردي بلغة تكون إمّا واقعية أو خيالية؛ وبخاصة مظاهر التعنيف، بحيث لا يخفى على أحد مايعيشه المجتمع العربي والمرأة العربية خصوصا من ظلم وتهميش ومعاناة؛ مما جعل الكاتبة والناقدة زينب لوت تحاول وصف هذه الظاهرة التي أرّقت المرأة وأرهقتها في روايتها "صخرة الرماد". ومن أجل ذلك، تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الرؤية الدستوبية في الرواية العربية المعاصرة، وتحديد معالم المعاناة في رواية "صخرة الرماد" لزينب لوت، بحيث تحدّثت عن معاناة متعددة "الهجرة، العمل، المرض...." كانت في مقدّمتها معاناة سيزيف.

وقد حاولت هذه الدراسة الكشف عن المعالم الواقعية للمعاناة التي نقلتها زينب لوت من الخيال إلى الحقيقة، فكانت رؤيتها وتجربتها فريدة.

كلمات مفتاحية: زينب لوت، الرواية النسوية، الكتابة النسوية، الدستوبيا، صخرة الرماد.

Abstract

The novel is one of the most important literary arts that reflect the realities and course of society. It depicts its manifestations in a narrative form in a language that is either real or imaginary; Especially the manifestations of violence, so that no one is aware of the injustice, marginalization and suffering experienced by Arab society and Arab women; This made the writer and critic Zainab Lout try to describe this phenomenon that troubled and exhausted women in her novel "Rock of Ash".

For this purpose, this research paper aims to shed light on the dystopian vision in the contemporary Arab novel, and to identify the features of suffering in the novel "Rock of Ash" by Zainab Lout, where she talked about multiple sufferings "migration, work, disease...." She was in the foreground. The suffering of Sisyphus.

This study attempted to reveal the realistic features of the suffering that Zainab Lout transferred from imagination to reality, as her vision and experience were unique.

Keywords: , Zainab Lout, feminist novel, feminist writing, dystopia, rock of Ash.

د.خديجة مرات، khadidjamerat@gmail.com

Langues & Cultures / © 2024 The Authors. Published by the University of Adrar, Algeria.
This is an open access article under the CC BY license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مقدمة:

تعدّ الديستوبيا قصة خيالية يحاول الروائي من خلالها أن يصف مجتمعا خياليا حُرم أفراده من لذّة السعادة والعيش بهناء، وهي "المعنى المقابل لليوتوبيا، ولها عدة مرادفات أيضاً وتعني المدينة الفاسدة، والمكان الخبيث، وأسوء مدينة، والجحيم، إستُخدمت كلمة ديستوبيا لأول مرة في منتصف القرن الثامن عشر، بوصفها نقيضًا لكلمة يوتوبيا طوباوية من قبل الفيلسوف والإقتصادي الإنجليزي جون ستيوارت ميل 1873 – 1806)) John Stuart Mill في أحد خطاباته البرلمانية عام 1868م والتي تدعي مناظرات هانسارد في مجلس العموم وقد استُخدمت لشجب سياسة الحكومة المتعلقة بالأراضي الأيرلندية ويقول ستيوارت : " ربما يكون إفراطًا في الإطراء المدح أن يدعوهم المرء طوباويين، بل ينبغي بالأحرى أن يطلق عليهم اسم "ديستوبيين."[1] ونجد كثيرا من الكتابات النسوية المعاصرة التي حاولت توظيف الدستوبيا في أعمالهن، كونها تعكس واقعا اجتماعيا وسياسيا مزريا وسيّئا، وتعدّ زينب لوت من بين الروائيات العربيات المعاصرات اللواتي وظّفن هذه الرؤية الدستوبية؛ بحيث حاولت زينب لوت في روايتها "صخرة الرماد" - موضوع الدراسة- إسقاط أحداث ومجريات المدينة الخيالية على المدينة الواقعية، وذلك بتصوير كل ماهو معاناة ومأساة وعدم ارتياح، فإنّ الرؤية الدستوبية عندها تجسدت في وصف الواقع الاجتماعي والسياسي والعاطفي والاقتصادي للمدينة الواقعية، وما يعيشه أفرادها من اضطهاد وتهميش وحروب وأزمات نفسية من انتحار وقتل، إضافة إلى المعاناة الأخلاقية من غدر وإهمال عائلي وغيرها ...وعليه يمكن القول إنّ الرؤية الدستوبية اللوتية هي الرؤية السيئة للمدينة الواقعية، بحيث قامت بكتابة سيناريو تصف فيه حالتها السلبية وهذا ما سنحاول الكشف عنه في هذه الورقة البحثية.

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب طبيعة البحث، بحيث تُوصف الدستوبيا ومظاهر المعاناة في رواية صخرة الرماد" لزينب لوت" ومن ثمّة تُحلل كبنى اجتماعية وأدبية مهيمنة، وكلّ ذلك لمحاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

- كيف يمكن اعتبار الرواية النسوية اللسان الناطق للمظاهر الاجتماعية؟
- هل تعتبر الرواية متنفسا للمرأة تصف فيه معاناتها واضطهادها؟
- كيف كانت الرؤية الدستيوبية في رواية صخرة الرماد لزينب لوت؟
- كيف كان تجسيد زينب لوت للمعاناة التي تتعرض لها المرأة في روايتها صخرة الرماد؟

1. صخرة الرماد والرؤية الدستوبية عند زينب لوت:

جاءت رواية صخرة الرماد سيزيف في رحلة الصعود نحو القاع لزينب لوت في 152 صفحة، وهي صادرة عن دار غراب للنشر والتوزيع بالقاهرة، مصر، سنة2019. تجسّد هذه رواية المعاناة بشتّى أشكالها وتصوّر المآسي والعيش في عالم سيء مليء بالأحزان، تبدأ فيها زينب لوت بالنهاية لتختتم بالبداية، لتكسر أفق توقع القارئ، بحيث أعطت للقارئ النهاية مباشرة وتركته يبحث عن تفاصيل القصّة، حيث تقول في مقدّمة الرواية: "يبدأ مخطوط روايتي من النهاية حيث تسقط دائرة الزمن بقعة الزمن فوق الورق لتذوب بقايا الأزمنة في قاع الذاكرة وتتدحرج قوّة الاهتزاز بين أشكال السعادة والحزن وأسئلة البقاء والخفاء في الزوايا المضيئة والمعتمة على أرجوحة تهزها ريح عارية من السماء التي تغلف قرص الأحلام وهي تكبر بين أهداب الأمل والرجاء بعدما كانت حافية تداعب صهيل الشمس الصاخبة في غياب سواد الليل تكسره رائحة الصمت المتعفن...تنفض روايتي أجسادا تناوئ الصخور وتفتت

1- العشري سلمى أبوزيد شتا: حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التصوير المعاصر، بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد21، العدد1، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، ص281.

عقيدة الرماد لينفلت سيزيف في رحلة الصعود نحو القاع..."[2] فكما هو ملاحظ أنّ هذه الرواية حدثها الرئيس هو المعاناة التي اختارت لها شخصية سيزيف أسطورة المعاناة والتي سيتّم شرحها لاحقا. فكما سبق القول إنّ رواية صخرة الرماد قلبت فيها زينب لوت الزمن والحدث وغيّرت فيها الأمكنة والإديولوجيات، وقد عبّرت زينب لوت عن هذه الرواية في حوار لها مع أمينة برواضي: "رواية صخرة الرماد أعدت تشكيلها عدة مرات وقلبت موازين الزمن يعني النهاية هي البداية وانتهت ببؤرة كل الأحداث؛ وهو رؤية الابن (سيف) لوالدته وهي تنتحر فاندفع إلى الوجود بعقد كبيرة ورهانات على الحياة و الموت، حاولت تشكيل لغة الإنسان مع ذاته ومع الآخرين فحاولت تغير البلدان والاتساع في المكان بين الغرب و العرب وجسدت من الخلاف الديني والإقليمي، والصراع السياسي والحروب بعض العمق الإنساني هي أرق مستمر يحمله كالصخرة التي رغم ملازمتها للرماد تتشكل ثانية عقبة وحمولة من الماضي المثقل بالهموم "[3]

2- المعاناة في رواية صخرة الرماد لزينب لوت:

تعدّ المعاناة التيمة البارزة لهذه الرواية، وقد شكّلت لنا الرؤية الدستوبية عند الروائية زينب لوت، بحيث أعادت لوت تصوير المدينة السيئة والقبيحة بمنظور المدينة الواقعية لا الخيالية أو التخييلية، فالمدينة عندها كلّها بطعم المعاناة، بحيث لايوجد في مخيالها الروائي مدينة فاضلة تحتضن شخصياتها، وعليه فإنّ الروائية زينب لوت جسّدت لنا معاناة أشخاص يعيشون في العالم الواقعي ومايحملونه من صخور ألم ومأساة، لذا نجد المعاناة في هذه الرواية شظايا متناثرة موزعة على جميع الشخصيات، كلٌّ وطريقة معاناته، كلٌّ وطريقة التعبير عن ألمه، وسنحاول في هذا العنصر الكشف عن المعاناة المتعددة بداية من العنوان .

1.2- العنوان: (صخرة الرماد)

يعدّ العنوان عنصر جذب إشهاري ولغوي ودلالي وعنصر استلهام، يحاول الكاتب من خلاله لفت انتباه القارئ وجعله يتماهى في النّص، ويتفاعل معه، ونجد زينب لوت قد اختارت عنوان صخرة الرماد ليس اعتباطا، بل محاولة كسر أفق القارئ، وإدخاله إلى عوالم نصّها، فالقارئ الذي لايعرف أسطورة سيزيف ومعاناته مع الصخرة لا يستطيع فهم لماذا اختارت زينب لوت هذا لعنوان بالضبط؟ وما المدلول الذي تريد تصويره وتقريبه للأذهان؟ فالعنوان هو أوّل عتبة نصية يصطدم بها القارئ، فإن لم يكن يملك تراكمات معرفية يكتنفه الغموض ولا يستطيع فكّ شفرات النّص، فالعمل الروائي عادّة ما يضع له المؤلف مخططا للشخصيات والأحداث والفضاءات المكانية والزمانية، فالفكرة تكون موجودة تختمر وتنتهي، وبعد الانتهاء تخرج كعمل إمّا أن يضع العنوان ثم يكتب النّص، أو يكتب النص ثمّ يضع العنوان، ذلك من أجل اختيار عنوان جذابا.

"صخرة الرماد" هو عنوان الرواية موضوع دراستنا، يجذب القارئ من خلال الثنائية الضدّية "صخرة"

و "رماد" بحيث جمعت زينب لوت بين ماهو قوّة صخرة و بين الضعف "رماد" لكن قد يكون القصد من ورائها هو الرماد الذي تجمّعت حباته السوداء لتشكّل صخرة المعاناة والمأساة، إذًا اختيار الرماد هو إحالة ودلالة على الانطفاء بعد الاحتراق والرؤية السوداوية التي ستأتي تفاصيلها في الرواية، فالعنوان طبعا هو النافذة المطلّة على عوالم النص الخفية، والصخرة هي إحالة على صخرة سيزيف التي حملها معاناةً ومأساةً، وعليه يمكن القول إنّ زينب لوت وُفقت في اختيار عنوان يصوّر المشهد التراجيدي والمدينة السّيئة التي تستيقظ على الألم وتنام على الحزن.

2.2 -المعاناة في الشخصية (سيزيف):

اختارت الروائية زينت لوت شخصية "سيف" شخصية محورية وتتقاطع هذه الشخصية مع الشخصية الأسطورية "سيزيف"، و"تحكي الأسطورة الإغريقية أن سيزيف كان رجلا ذكيا وماكرا جدا، استطاع أن يخدع إله الموت "ثانتوس" حين طلب منه أن يجرب

[2]- زينب لوت: صخرة الرماد، (2019) دار غراب للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1، ص7.

[3]- حوار أمينة برواضي مع زينب لوت https://xeber24.org/archives/269885

الأصفاد والأقفال، وما إن جربها إله الموت حتى قام سيزيف بتكبيله، وحين كبل سيزيف إله الموت منع بذلك الناس أن تموت.أغضب هذا الأمر الآلهة الأوليمبية فأصدروا عليه حكما بأن يعيش حياة أبدية على أن يقضي سيزيف هذه الأزلية في عمل غير مجدٍ، ألا وهو دحرجة صخرة صعودًا إلى جبل حتى تعود للتدحرج نزولا من جديد، مرارا وتكرارا، وبلا نهاية"[4] . بحيث ربطت زينب لوت هذه الشخصية مباشرة بالعنوان صخرة الرماد "سيزيف في رحلة الصعود نحو القاع" وهنا إحالة مباشرة على سيزيف ومعاناته في دحرجة الصخرة. فسيف بطل الرواية يتقاطع مع سيزيف في الدال وهو الاسم وفي المدلول وهو المعاناة، وسنقف على تراكم المعاناة على ظهر سيف، فكلما حاول الخروج من أزمة واجهته أخرى.

3.2- معاناة المرض:

شكّل المرض بؤرة معاناة في رواية صخرة الرماد لزينب لوت، بحيث نجد أنّ معظم شخصيات الرواية أصابها المرض، والمرض هو دلالة على المأساة وعن عدم الارتياح وخاصة إذا كان المرض خبيثا، فرشا بطلة الرواية مصابة بورم سرطاني، أنهك جسدها واستنزف قواها، تقول زينب لوت واصفة شدّة الألم الذي تعاني منه رشا: "لن أتراجع آخر نوبة صرع جعلتني أعاني الكثير أمام توأماي، نزفت عيوني وتورمت كثيرا لأنني لم أتحكم في جسدي أمام الصدمات لم أحس إلا بتيار كهربائي عارم بدماغي يحركني بقوة...لولا ذلك الارتداد القوّيعلى الجدار الذي أسقطني دون وعي لساعات أخرى ....لأجد جسدي ينزف من كلّ مكان لا أتذكر ماذا حدث...أو كيف وقع ذلك ...لكنني أدركت كم يعاني المصاب بالسرطان قبل معرفة واقع المرض...سيكون الوجود حوله أشباح تتوسد علب الأدوية الدائمة والمنحنيات الخافتة للخوف والارتداد.[5] "

معلوم أنّ السرطان يخفي الملامح الجمالية للمريض، فيصبح شاحب الوجه، أسود العينين وهاهي رشا تصف معاناتها مع هذا المرض الذي أضعف جسدها قائلة: "لم أكن أتوقع أنني سأضعف بهذا الشكل المخيف، كنت أطارد أشباح الحروب، لأموت بشبح سرطاني...آه يادكتور كم هو موخز هذا الشعور ...موجع ومحطم ...سأترك توأمي "فارس" و"ندى" بلاحضني....وبلا أرض صلبة..."[6] أيّ فتك أصاب هذا الوجه الجميل، بحيث أصبحت رشا مهتمة بإخفاء إعيائها وسوداوية وجهها بالكريمات الواقية من الشمس، بحيث أصبحت "تتحسس رأسها الذي صار الصلع ينسيها خصلات الشعر الكستنائي المموّج بعدما تساقط في خريف العمر المتأني أمام المرض، فكان ينشطر شيئا فشيئا بين أصابع يدها البيضاء، ويضمحل مع مجاري المياه، ويستجيب للحظات المعاناة التي تعيشها تحت العلاج، وعيونها الخضراء المتورمة تكنس الألوان الداكنة الإعياء فوقها وتمارس لعبة التخّفي ببعض الكريمات الواقية للشمس لتخفف من شدة الحرارة التي تثيرها الأشعة السينية "[7]

تبقى معاناة رشا متواصلة فبعد علمها بالمرض وبداية العلاج، تعاني الآن من خوفها على أولادها وتصف شعورها المحزن والموجع أن ستتركهما يتيمين دون حضن يضمهما وبيت يحضنهما، إنّها معاناة الحنين لوعة الاشتياق للأولاد، فقد جسّدت حنينها مأساة، كيف لا وهي تعلم أنّ السرطان نهايته الموت الحتمي وأن أولادها سيحرمون من العطف والحنان والدفء الأسري، فالأمّ هي منبع الحنان وبغيابها ينطفئ الأولاد، هذا ماجعل رشا كلما تلتقي بسيف تسأله عن حالهما؟تقول: "أخبرني سيف كيف حال التوأمين؟"[8] إنّ رشا في صراع مع المعاناة "معاناة المرض، معاناة فقد الجمال، معاناة الاشتياق للأولاد...

---

[4]- حمزة المجيدي: سيزيف والصخرة.. أو عن سؤال المعنى في الحياة، موقع مدونات، 2016/11/3، تمّ الاطلاع عليه يوم 2024/1/1، https://www.aljazeera.net/blogs/2016/11/3

[5]- زينب لوت: صخرة الرماد، ص20-21.

[6]- زينب لوت: صخرة الرماد، ص25.

[7]- المرجع نفسه ، ص27-28.

[8]- المرجع نفسه، ص28.

4.2- معاناة الخيانة والإهمال العاطفي و الطلاق:

تعاني رشا من السرطان الذي ألزمها العلاج لمدّة ثمانية أشهر، وفرض عليها إجراء عملية لاستئصال الورم، وبعد إجرائها العملية واستفاقتها من آثار البنج تبدأ رشا بالسؤال عن زوجها "غوستاف"الذي أحسّت بغيابه وجفائه، وشعرب بعدم اهتمامه بها وبمرضها، ليطلقها في الأخير بسبب المرض لكن دون علمها، فلم يجد في مرضها وومعاناتها إلا سيف الذي تحدّثه قائلة: " لولا وجودك معي لكان مرضي أكثر قسوة وماكنت لأتجاوز مسافة ثمانية أشهر للعلاج، هل أرسل غوستاف رسالة أم هاتفك؟..أخبرتك أنّه يتصل من حين لآخر..لكن الأعمال تلهيه كلما يحاول العودة ..لكنها أكبر مدّة يبتعد فيها عنّي بهذا الشكل دون أن يحاول الاتصال ولا السؤال كيف يمكنه تحمّل غيابي"[9] يحاول سيف إقناعها بأسباب واهية منها أن غوستاف لايتصل بها خشية على صحتها يقول لها سيف " رشا أنت تعلمين أنّه يخشى عليك من انعكاس أشعة الهاتف المهم أنّ عمليتك مرت بنجاح وأنت تمارسين العلاج الكيماوي" لكنّ سيف يخفي الواقع والحقيقة عن رشا بحيث يتحدث في نفسه قائلا:" ليتك تعلمين أنّه تركك بعدما علم بمرضك لكي تستريح روحك..."[10] لكن لم يستمر الأمر طويلا حتّى عرفت رشا الحقيقة، أي أنّ غياب غوستاف ليس بسبب العمل أو حرصه على صحتها، بل أنّه قام بتطليقها مباشرة بعد سماعه بمرضها، ليعاودها المرض من جديد بحيث تعرضت لشلل على مستوى الذراع والرجل اليسرى، هنا تدهور صحي من جديد بعدما كانت العملية ناجحة.

معاناة متجددة ومتكررة وكل مرة تلبس ثوبا جديدا، إهمال وطلاق ثم خيانة مع أحد الصديقات، فالأمر الذي زاد من حدّة مرض رشا واستياء حالتها الصحية هو سماعها بارتباط زوجها غوستاف بصديقتها الكويتية "فلوة" هذا الأمر الذي حاول الدكتور إخفاءه عن رشا لكن "الممرضة وهي تمنحها فطور الصباح وحقنتها طلبت منها الهاتف واتصلت بزوجها غوستاف من جميع الأرقام التي تعرفها عنه حين يسافر، حتّى علق رقم معها فأخبرها أنّه تركها وأن لا تعاود الاتصال لأنّه ارتبط بالآنسة (فلوة) من الكويت...صديقتها"[11] إنّ صدمة الخيانة كان لها وقع كبير على قلب رشا مما جعل وعيها يغيب وفقدته تماما إلى درجة الموت بسبب ضعف جسدها المحبوك بالخيبات ...لكنّها نجت بأعجوبة وقام الأطباء بإعادة نبضها بصدمات القلب الكهربائية.

2. 5 - معاناة الأنثى في المجتمع الذكوري:

معلوم أنّ المجتمعات العربية ذكورية، بحيث يمارس الرجل الهيمنة والسيطرة على المرأة وإسكات صوتها في كثير من المواضيع وتهميشها، وعدم ترك لها حريّة التعبير، مما جعل المرأة تعاني الظلم والاضطهاد، فالمرأة المطلقة في المجتمع العربي عارٌ وفريسةٌ للمنحلّين أخلاقيا، بحيث يرى المجتمع الذكوري المرأة المطلقة بمنظار العاهرة والماجنة، تصوّر رواية صخرة الرماد هذا الرؤية الدستوبية بقولها:" هل تذكر يوم التقينا؟ كُنتَ حزينا ومنهمكا بالتفكير...كنتُ أتخاصم مع أحد الشباب الخائنين لإنسانيتهم ولرجولتهم... يتهمني بالمياعة ويغازلني في نفس الوقت ...يلامس يدي ويدعوني بالفجور لأنّي أعود مجهدة من عملي في مكتب (فوزي) العقاري، وأتعامل مع زبائن أغلبهم رجال، هل كان هذا كافيا لاتهامي؟؟؟ طلاقي في سن مبكر جعلني أبحث عن لقمة تسد جوع إخوتي الخمس بعد وفاة والدي حامد الذي عمل عتالا في سوق الخضر..."[12] بالإضافة إلى أنّ الأنثى في المجتمع العربي تعاني مأساة التجهيل، حيث أنّ في بعض القرى العربية تُمنع الأنثى من الدراسة ، بحيث يوقفها ويحرمها والدها أو أخوها من الذهاب إلى المدارس للتعليم ويفضّلون أنها تبقى رهينة المنزل ثم يقومون بتزّويجها لتبقى تحت سيطرة الرجل، فهنا في هذه الرواية نجد أنّ رحمة أخت

9- زينب لوت: صخرة الرماد ، ص28.

10-المرجع نفسه ، ص29.

11- المرجع نفسه، ص32.

.
.

سيف حرمها والدها من التعلّم، بحيث يقول سيف على لسانها:" ونحن نتمشى ونتحدث.....لأنّ رحمة انقطعت عن الدراسة رغم حبّها للتعلّم، سحق والدي أحلامها وحبسها بين جدران الجهل والقطيعة"[13] فالرجل في المجتمعات العربية له حقّ ضرب زوجته وتعذيبها فهو القوّام عليها، فهناك نساء كثيرات يعانين في صمت إما خشية على أولادهن من الطلاق والانفصال فيذهب أولادهن ضحية، أو نظرا لظروفهن الاجتماعية القاهرة، فالمرأة إذا تطلقت ليس لها مكانة في عائلتها ولا في مجتمعها، تصبح منبوذة حتّى وإن كانت مظلومة، وهذا ماعانته رحمة أخت سيف عند زواجها من منصور الذي كان يضربها ويعنّفها ويعذبها ويتهمها في اخلاقها اليبب الذي جعل حسام يتساءل عن سبب تعذيبها، فكان زوجها يجيب بأنّها كانت تخرج من المنزل دون إذن، يتساءل حسام قائلا: " لماذا تجلد بهذا...(كان يحمل سوطا تلون بدمها) هل تدرك ماتفعل توقف أيّها الحيوان ! ينظر له بحدّة ..من أنت..مادخلك بها تعرفها...أعرفها هي شقيقة سيف لمجرد غياب شقيقها تضربها أيها النذل..دعه يأخذ أخته الساقطة عنّي ...خرجت اليوم بدوني "[14] فرغم معاناة الضرب والتعنيف والمرض، فرحمة أصيبت بورم خبيث، لكنها لم تبلّغ عن زوجها الذي كان يضربها وحوّلها من زوجة إلى خادمة بيوت، يأخذ مالها غصبا بعدما احترق دكان والده وفقد حيلته في توفير قوته، ولما سئلت عن سبب عدم التبليغ عنه أجابت:"لم أبلغ عنه لأنني بدونه لا سقف لي...ستنهشني الأعين...ستستبيح خطواتي نحوهم السؤال ...سيمكثون على خريطة زمني وحدودي كلّ أحاديثهم" [15] فخشية رحمة من أقاويل المجتمع الذي لايرحم جعلها تتكتم على جرائم زوجها في حقّها.

6.2 - معاناة الحروب:

تتحدّث زينب لوت في روايتها صخرة الرماد عن معاناة المجتمعات العربية من الحروب التي سلبتهم حريتهم ودمرت أوطانهم فغدت صخرة سوداء تتشكّل من حبّات الرماد الذي تخلّفه هذه المعارك والحروب، لتطمس كل الحدود الجغرافية فالإدريسي برأيها "لم يصمم الخرائط من أجل الطول والعرض، علم الجغرافيا حدد خطوطا للشعوب كي تعيش شكلها المتعارف، استغرب هذا النزاع الغريب بين بني البشر، هل يستمتعون بالصراخ والعويل،ركيف يمكنهم تدنيس هالة الوجود، وتحويل الخرائط إلى خطوط ترسم صفوف القتال وتلبس المعارك رماد الحروب، كلّ الصخور الصلبة تفتت صبرها على الأرض،وانطوى، لكنها اختنقت في هذه الحدود،

12- زينب لوت، صخرة الرماد، ص47.

13- المرجع نفسه، ص114

14-المرجع نفسه، ص126.

15 - زينب لوت: صخرة الرماد، ص128.

16-المرجع نفسه، ص47.

17-المرجع نفسه،54 .

18- زينب لوت: صخرة الرماد، ص86

19المرجع نفسه ، ص97.

20-المرجع نفسه، ص97.

21-المرجع نفسه، ص129

وانفجرت الألوان بين الحمراء والصفراء والخضراء...كل الألوان الأساسية أرادت أن تختلط وتتمازج وتنفعل بنواتها لتنفخ في الأرض جمالية اللون، وليونة المحبّة ".[16]

وفي موضع آخر تصف لنا زينب لوت معاناة فلسطين من الحرب الإسرائيلية بعدما أعلن ترامب أنّ القدس عاصمة إسرائيلية، وراحت تصوّر لنا معاناة الفلسطنيين وجثثهم التي تنزف دما، والجرحى بين ركام المتضررين والضحايا، فقدوا الأب والأم والزوج والأخ ...ففلسطين في معتقد لوت هي "الخنساء تولد فينا قهر العروبة ...هل تعتقدين أنّ هناك خنساء واحدة بين العرب؟ أنظري حولك كم واحدة منّا فقدت شطرا من جسدها، كلنا نشدّ خواءنا ونمضي في حزننا نرسم هودج الرحيل..." [17]فتشبيه فلسطين بالخنساء فيه تماهي بينهما فالخنساء فقدت أخويها ثم فقدت أبناءها الأربعة، ولم يبق لها أحد، كذلك فلسطين كلّ يوم تفقد أبناءها.

أشارت زينب لوت في موضع آخر إلى الحرب اللبنانية الإسرائيلية (تموز2006) حيث صوّرت مشهد انتشال الجثث التي وقعت ضحية قذيفة إسرائيلية على جنوب لبنان القريبة من هضبة الجولان، هذه الحرب التي أنهت غابات الأرز، وأدّت إلى نزوح اللبنانيين إلى سوريا، و"أصبحت الصحف اليومية كالكعك الساخن تتدفق بين شوارع (صيدا) تتساقط الأخبار، يمسك جريدة (لبنان اليوم) يتصفح مقالا ينتظر صدوره على وجه السرعة في الصفحة الأولى (نزوح أكثر من مئة ألف نازح إلى صيدا في مخاض الشرق الأوسط الجديد بالسان الغربي وعتاده) وتحته تقرير: (سيف المعلوف)" [18]

2. 7 - معاناة الفقد (الموت والفراق) السيزيفية :

يعاني سيف أو سيزيف فقدا متكررا لأقاربه وكلّ أحبائه، سواء بالموت أو الفراق، فسيف فقد والدته التي ماتت انتحارا لأنها تزوجت من جميل الذي كانت ترفضه لأنها تحبّ جاسم، لكن والدها زوّجها به لأنه اقترض مالا من والد جميل وماعليه تزويجها بجميل، فتسحب ماجدة والدة سيف قرارها وتقبل الزواج منه، لكنّها في نهاية المطاف انتحرت يقول سيف:"ربطة عنق حمراء ...حمراء ...حمراء ياخليل مثل التي علقتها أمّي عندما انتحرت أمّي..." [19] مما شكّل له معاناة مع اللون الأحمر وفوبيا منه، فاللون الأحمر في نظر سيف يحيل مباشرة على الدّم وعلى الموت، إنها ربطة العنق الحمراء التي تسببت في موت والدته، وربطة العنق التي وضعتها شامة على عنقه في اليوم الذي كان سيف سيتقدم لخطبتها فأثارته لأنها ذكرته بموت أمّه، فصفعها وطردها لكن كانت نهايتها في ذلك اليوم حيث " حملت حقيبتها...وسمعت سيارةتدوس جسدها الممشوق وتعصر دمها وقهرها ..مني..." [20] فاللون الأحمر يعيد ذكرياته الحزينة ليخلق جوّا أكثر حزنا ودما، ففي اليوم الذي كان سيفرح فيه سيف بخطبة شامة، انقلب الفرح حزنا وموتا وفقدا جديدا.

يفجع سيف بوفاة أخته "رحمة" والتي عانت كثيرا في حياتها الزوجية من زوج عنيف يضربها ويحمّلها مسؤولية تحصيل القوت بالعمل خادمة في المنازل، إلى معاناة الورم السرطاني الذي أنهك وأضعف جسدها، فهاهو سيف يقف صاخبا لوفاتها، بحيث "استيقظ سكان الحيّ على صراخ وعويل ...ماتت (رحمة) تنفلت الكلمات الغائرة في المعنى ونحيب يختزل الحزن والضياع....دفعتُ لباب بقوة والنسوة تلطم حالها من أجل فقدان رحمة ...يقف سيف مكفهر الوجه صاخبا.." [21] وكان سيف من شدّة اللوعة

.

-

.

والاشتياق يتذّكر أمّه وأخته اللتان أخذهما الموت وغيّبهما عنه يقول سيف وهويستذكر أمّ وأخته "أنسى وينساني الرحيل...يسبقني الريح ينفخ في الجرح العليل زئير الموت..هل التراب يعشق جسدك يا "ماجدة" هل يخرجك يوما؟ وكيف يمكنني أن أسابق الزمن لأعيدك؟ ولماذا تزرع "رحمة" بقربك، وكأنّك وطن تحت الأرض يقيم فيه النسيان...تراب خفي يلقي ملح الذاكرة...ويسحقني بالملح "[22]

تتواصل سلسلة الفقد والمعاناة في حياة سيزيف "سيف" وهذه المرة يفقد زوجته "جنان" والتي كان يحلم بإنجاب أولاد منها والعيش معها في حب وهناء لكن حليس زوج أمها بعد خروجه من السجن وسماعه بخبر ارتباط جنان بسيف قام بطعنها بالخنجر على مستوى البطن، لتنقل "إلى المستشفى بسيارة إسعاف لاتزال تنبض وتمسك يد سيف وهو يدعوها بالصبر ومقاومة الإصابة التي مسّت بطنها...وصلت للمستشفى وهناك فقدت رحمها بسبب الإصابة وتوّرمهوانتزعت فكرة الأمومة، فلم يسمع غير أنينها والطبيب ينقل لها خبرا كسر كثيرا من الصمت بداخلها....لكن فقدها (سيف) صباحا لما اختفت من فراشها ورحلت، لم يجد سوى زفير هواء يتهاوى من النافذة، يركض بين أفنية المستشفى، لاأحد رآها ولا أبصر وجودها.[23] "

هاهو سيزيف يفقد عائلته فردا فردا، وهذه المرة يذكر فقده لأخيه عمر الذي مات بعد سقوط الطائرة التي تقلّه، مما جعل سيف يعانق صورته ويستسلم للألم والمعاناة التي لن تنتهي، يقول سيف:" لكن طائرة لبنان تتعطل في إحدى التقلّبات الجوّية، وتسقط هاوية دون مسار...تنهمر منها الأجساد راحلة لمكان اخترق اتجاه جواز السفر ...واختفت آخر عناقيد الأمل واستسلم سيزيف يعانق صورة عمر تكتنف ركنا من تحنيط الخراب الأخير "...[24]

8.2 - معاناة المدينة الواقعية:

اختارت زينب لوت مدينة لندن وهي مدينة الضباب تغشاها السوداوية رغم أنّها كانت مدينة العلاج من معاناة المرض، لكنّها كانت معاناة الألم العاطفي والفقد ...حيث قامت بتصويرها تصويرا دستوبيا مليء بالحزن والخوف والمأساة " ففي مدينة الضباب كلّ الأشباح، تنهض في صدري الموحش...وكل الوحوش تجرفني نحو البحث عن رغيف ذكراك وأنت لاتزال تغزل رجليك فوق الأرض، وتزرع طفولتك بين التراب...صار كلّ ماحولي يتواطا مع الموانئ الهاربة، لا أحد يعرف (عمر) غيري...هذا آخر شارع في لندن (ادجور رود) يفصلنا تصافح (ذاكسفورد ستريت وبارك لين) يمتد شارع العرب.."[25] فاختيار مدينة لندن فضاء مكانيا واقعيا انتقلت به لوت من الدستوبية والمدينة الخيالية إلى فضاء الواقعية، لكن تجسيد السواد بقي قائما، لندن يتغشاها الضباب الذي يصيب بالحزن والكآبة ويعكّر المزاج، ويبعث على تذّكر الطفولة والذكريات الجميلة فيبعث على اللوعة والاشتياق والحزن.

9.2 - معاناة غربة الوطن والدّين :

تعددّت الفضاءات المكانية في رواية صخرة الرماد، من لبنان، لندن، إيطاليا، فلسطين...كلّها توحي بعدم الارتياح في المدينة الواقعية، فكل مكان يعيش معاناة مختلفة عن الآخر ففلسطين ولبنان يعيشان معاناة الحروب التي دمرت الأواطان وزهقت الأرواح ورمت الجثث، ولندن هي فضاء قُصد لاعلاج من الأمراض إلا أنّه فضاء يخيّم عليه الحزن واسترجاع الذكريات الأليمة، فطغت سوداوية جوّه على القلوب فانعكست حزنا ومعاناة، وإيطاليا يستذكر فيها سيزيف موت شامة التي ماتت ميتة شنيعة بعدما دحستها السيارة، كل الأماكن التي تمّ توظيفها والفضاءات التي تمّ التوجه إليها بلون الموت وبطعم المعاناة، حتّى على مستوى الدّن والإيديولوجيا فالشخصيات كانت تعيش غربة ومعاناة، بحيث يقول سيف:" تمرّ أربع سنوات ولا تزال "رحمة" تطلّ من النافذة وكأنها تبحث عن

22- زينب لوت: صخرة الرماد، ص91.

23- المرجع نفسه، ص141-142.

24- المرجع نفسه، ص74.

شيء ضائع...ولا تود أن تدخل عالم الرهبانية، فهي مسلم تصلي كل وقت صلاتها ولم تذهب للقداس للتعبد، مما أثار نقمة بعض الراهبات لضرورة خروجها لولا أن عمر كان يحمينا بطفولته فتشفق علينا الأم تريزا." [26]

خاتمة :

تعدّ رواية صخرة الرماد من الكتابات النسوية العربية المعاصرةّ، والتي جسّدت فيها المعاناة بشتّى أنواعها، فصورّت لنا رؤيتها الدستوبية ليس للمدينة التخييلية وإنمّا المدينة الواقعية بأرضها وسمائها، ومايحمله أفرادها من مأساة وسوداوية حالكة، إنّ انتقال زينت لوت بالمدينة الخيالية إلى المدينة الواقعية هو باب الحداثة والتجديد، حيث أنّها جسّدت تلك المدينة السيئة القبيحة الظالمة لأفرادها وسكانها واقعا، فما تعيشه المجتمعات العربية هو ظلم وانكسار وذلّ، لاغنى للروايات والكتابات عن تصويره تخييليا، بل وجب رصده واقعيا .

- أسقطت زينب لوت أحداث ومجريات المدينة الخيالية على المدينة الواقعية من معاناة ومأساة وعدم ارتياح.
- أجادت زينب لوت في روايتها صخرة الرماد تجسيد المعاناة والدستوبيا بدءا من العنوان، فالعنوان فيه إحالة على السوداوية الرمادية، وفيه إحالة على انهيار الصخرة من شدّة المعاناة وتحوّلها إلى رماد، كما أنّه يحيل إحالة مباشرة على صخرة سيزيف التي حمل همّ دحرجتها.
- استدعت زينب لوت في روايتها شخصية سيزيف وهي شخصية أسطورية ترمز للمعاناة والقهر وجسّدتها في شخصية سيف الذي عانى منذ طفولته معاناة متعددة ومتنوعة، من فقد وفراق ومعاناة عمله الصحافي، معاناة الغربة وهجر الوطن...
- اتخذ سيف من اللون الأحمر إحالة ورمزا على الموت، فبربطة العنق انتحرت أمّه وبسبب ربطة العنق ماتت صديقته شامة وسالت دماؤها الحمراء.
- تقاطعت الشخصية سيف في رواية صخرة الرماد مع الشخصية الأسطورية سيزيف لغويا ومعاناتيا.
- تعدّ معاناة سيف وراثية، بحيث ورث المعاناة عن أمّه ننذ لحظة زواجها بجميل وحرمانها من جاسم، إلى لحظة انتحارها.
- اختارت زينب لوت لندن مدينتها الواقعية لتجسيد رؤيتها الدستوبية نظرا لضبابيتها وسودوايتها وهي إحالة على الحزن والمعاناة كذلك.

25- زينب لوت: صخرة الرماد، 77.

26- المرجع نفسه، ص117.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

1 - لوت زينب: (2019) صخرة الرماد، دار غراب للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط1.

2-المقالات:

1 -برواضي أمينة: ((حوار مع الناقدة زينب لوت))، مجلة xeber24 الإلكترونية،7 يونيو، 2020، تمّ الاطلاع عليه، يوم 2024.1.1، https://xeber24.org/archives/269885

2- العشري سلمي أبوزيد شتا: "حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل للاستلهام في فن التصوير المعاصر"، بحوث في التربية الفنية والفنون، المجلد21، العدد1، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

3- المجيدي حمزة: ((سيزيف والصخرة.. أو عن سؤال المعنى في الحياة))، موقع مدونات، 2016/11/3، تمّ الاطلاع عليه، يوم 2024/1/1. https://www.aljazeera.net/blogs/2016/11/3

السيرة الذاتية للدكتورة خديجة مرات

الدكتورة خديجة مرات، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، متحصلة على دكتوراه علوم من جامعة سطيف2، متخصصة في الدراسات اللغوية، شاركت في العديد من الملتقيات الوطنية والدولية بالعراق، إيران، السعودية، قطر...، لها العديد من المنشورات(كتب ومقالات)، عضو اللجنة العلمية في العديد من المجلات والمؤتمرات ، تبحث في اللغة والأدب العرب